التربية وحظ النشىء منها

(تابع)

عوامل التربية — للتربية بمعناها المتقدم ، المترامي الاطراف ، عوامل كثيرة تؤثر في النشىء وتكيفه وتنمي فيه قوى الخير ، فالنشىء يوجد مفطوراً على الخير طاهراً طيباً ، وان كان هناك شيء من اثر عامل الوراثة ولكنه ضئيل ، وفي الحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطرة» .

ويقول روسو : كل شيء تخرجه يد الطبيعة حسن ولكن يد البشر تدنس فطرته ، فان كانت هناك عوامل اصلاح وخير لم ترده الا تنمية ما هو مفطور عليه ، وان كانت عوامل فساد وشر حولته الى ضد ما فطر عليه ، وأهم هذه العوامل التي تؤثر في مصيرنا هي الوراثة : المنزل ، المدرسة ، البيئة .

يقول كارل بيرسن : انا نرث مزاج الاباء وذمتهم وحياءهم ومقدرتهم كما نرث كثيراً من خواصهم الجسمية ، ويقول ابن خلدون : ان البشر ياخذون معارفهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً والقاء (المدرسة) وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة (المنزل) . ويقول ابن مسكويه في عالم البيئة : وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية يجب الا تهمل ولا تترك ومخالطة الاضداد ، الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة . هذه العوامل التي تربي النشىء التربية الكاملة وتصيره رجلا ، فما هو حظ نشئتنا منها وما هو اثر هذه العوامل فيه ؟

حظ نشيئنا الحديث في التربية — نقول ونحن ناسف كثيراً ، ان نشئنا لاحظ له من التربية الكاملة وان بينه وبينها بوناً شاسعاً ، فلا ترى الا اخلاقاً سافلةً وتوانياً وتواكلاً وضعفاً عظيماً في العزيمة والارادة ، وعقلية بسيطة لا تنظر الا في سفاسف الامور وحقيرها . وان كنا لانكر ان هناك فئة شاذة امتازت بتربية صالحة خلقية وعقلية . هذه هي الحقيقة التي يجب علينا ان نعرفها ونبحث عمن تلقى على كاهله هذه المسؤلية العظمى .

هذه المسؤلية لا تلقى على النشىء لانه ليس الا معمولاً لعوامل مؤثرة فلو كانت هناك عوامل مؤثرة لظهر حتماً اثرها ولا تلقى على عوامل الوراثة والمنزل والبيئة لان الجميع قد اعتراه الفساد والخلل قديماً ، ولا يصدر عن عوامل فاسدة الا ما يلائمها ، فليس هناك الا المدرسة وروحها الاساتذة ، فهم وحدهم الذين تلقى عليهم هذه المسؤلية ، لانهم الذين تكفلوا بتربية نشيئنا وتكوينه ، وتصدوا بانظمتهم وبرامجهم ومجهوداتهم ، التي تستغرق جميع اوقات التلميذ ولا تترك له فراغاً ، لمقاومة كل العوامل الفاسدة التي تؤثر في مصيره وأخذوا على انفسهم باخراج نشىء ذي تربية عقلية وخلقية وجسمية في دائرة دينه ومميزاته القومية عامل في هيأته الاجتماعية ، قادر على الخوض في معترك الحياة باباء وشرف ولم يؤدُّوا ذلك كما يجب وكما يتطلب منهم .

هؤلاء الاساتذة الكرام اساتذة مدارسنا هم الذين

يحملون هذه المسؤلية ، ولا نستثني منهم احدا ، سواء السادات الفرنساويون او المغربيون ، غير ان المسؤلية على اساتذتنا المسلمين هي أعظم وأكبر من المسؤلية الملقاة على الفرنساويين ، لان كل ما نتطلب من هؤلاء تنمية القوة العقلية وتثقيفها وتربية القوة الجسمية وهذا كما نتطلبه منهم نتطلبه من الاساتذة الاهالي ، لاننا كما نتطلب ثقافة غربية ولغة حية اجنبية نتطلب ثقافتنا ولغتنا بل نريد ان تكون ثقافتنا ولغتنا هي الغاية والمرمى وغيرها من الثقافات الاجنبية وسيلة لخدمتها وتنميتها ، وثم شيء آخر نتطلبه من اساتذتنا الاهالي فقط بتركه عظمت المسؤلية عليهم ، هو التربية الخلقية والدينية . فلكل امة من الامم عوائد تخصها واخلاق تمتاز بها ومقومات تشخصها عن غيرها ، ودين تدين به وتبذل مهجها في سبيله ، ونحن كأمة لها ما لغيرها من الامم نتطلب كل هذا ، نتطلب ان يربى نشئنا على اخلاقنا ومميزاتنا ومشخصاتنا في حدود دائرة دينه وثقافته العربية ، وهذا لانتطلبه من الاساتذة الاجانب ، يقول جوستاف لبون : « ...واذا كان الامر كذلك فعمل التربية انما هو تقوية الفضائل ومحاربة الرذائل ، ومن هنا لم تكن التربية واحدة بالقياس الى الشعوب كلها ، فلكل شعب مزاياه التي يجب تقويتها ونقائصه التي يجب اضعافها ولن تكون التربية واحدة بالقياس الى الايطالي والروسي والفرنسي والزنجي » فنحن اذا قلنا للاساتذة الاجانب انكم قصرتم في تربية ابنائنا التربية الخلقية والدينية نكون قد خالفنا سنتي العقل والعلم ، وتطلبنا منهم ما ليس في متناولهم .

ويجب ان يلاحظ هنا ، اننا لم نحمل هذه المسؤلية على المعاهد الدينية كالقرويين ، والكتاتيب الابتدائية لا تعصباً لها ، لكوننا نشأنا فيها وتربينا ، ولا لكوننا نعتقد انها تقوم بهذا الواجب وتؤديه كما يجب ، فاننا نعلم ان الكتاتيب والمعاهد الدينية وفي مقدمتها المعهد الكبير القرويين خالية من كل هذا وليس فيها شيء يوصل اليه بل نقول ان الفوضى والاختلال سواء في التعليم او غيره الموجودة فيها ليست موجودة في المدارس ، ولكن لم نحملها ذلك لان الكتاتيب معترفة باختلالها وسقوطها ولم تتصد لهذا ونحن نعلم الكثير من الناس انما يدخلون ابناءهم اليها ريثما يصلون للسن التي يقبلون فيها في المدارس والقرويين وهي الجامعة الكبرى لا يدخل اليها الانسان الا وقد تجاوز العقد الثاني من عمره ، فلو قدرنا انها تريد القيام بهذا الواجب لما تيسر لها ذلك فضلا عن كونها بمعزل عن كل ما يسمى تربية .

فالمدارس المنظمة هي التي التزمت القيام بهذا الواجب وهي التي ترمي اليها الناس افلاذ اكبادهم نشيء اليوم وامة الغد ، معتقدين انها تربيهم فيهم المثل العليا في الاخلاق الفاضلة والثقافة العالية فهي الجديرة بتحمل هذه المسؤلية .

وننتهز هذه الفرصة فنرجو من السادات الاساتذة ان يقدروا هذه المسئولية قدرها ويعلموا ان ذلك النشيء الامين الذي وضع بين ايديهم هو امة المستقبل واليه المصير فكيفما ارادوا ان يكون كان .

«المغربي»

الام مدرسة اذا اعددتها ✲ اعددت شعباً طيب الاعراق
الام روض ان تعهده الحيا ✲ بدري اورق ايما ايراق
الام استاذ الاساتذة الاولى ✲ سارت مئاثرهم مدى الافاق